العظماء واهل البيوتات فبدأوا يفاوضون المنذر وبهرام، وعندها عزل كسرى وولي بهرام العرش. وقد افاض القصص الايراني على هذا الحادث خرافة خيالية (٦٦).

ومما لاشك فيه ان هذه القصة قد اخترعت لتخفي حدثاً هاماً وهي كيف ان قوة عربية صغيرة كانت كافية لاحباط عمل الاشراف وقوتهم واجبارهم على قبول ملك كانوا غير راغبين فيه ومعرضين عنه كما تدل على قوة العرب وشجاعتهم وقدرتهم القتالية وتصميمهم وارادتهم حيثما يتوجهون لتأكيد وجودهم وتقرير ذاتهم.

ولم يكن لاحد من ملوك الساسانيين عدا اردشير الاول وكسرى انوشروان وكسرى برويز ماكان لبهرام الخامس من ميل قلوب الناس اليه فانه خفض الضرائب عن اصحابها عطفاً منه على الناس اجمعين. كما الفت قصص كثيرة حول بلائه في حروب اقوام الشمال وبيزنطة. كما كان بهرام مولعاً بالصيد الى حد المغامرة فنسجت حول شخصيته الكثيرة من القصص الخرافية لكنها وجدت طريقها الى الآداب الايرانية وفي الاعمال الفنية. ويروى انه كان يجيد عدة لغات وكان يقول الشعر بالعربية وسببه تربيته ونشأته بين العرب وكان يلقب (ببهرام كور) وكور معناها (حمار وحش) وتروي المصادر العربية ان هذه التسمية قد ربطت بقصة جاء فيها انه انتظم بضربه سهم واحدة حمار وحش واسد كأن يعلوا ظهره (٦٧).

وتتفق معظم المصادر وخاصة المصادر الساسانية في اشارتها الى انغماس هذا الملك في اللذات والاسراف وحياة الترف وتركه لشؤون الدولة بايدي العظماء. وهذا مايفسر سبب محبتهم له ولرجال الدين وان بعض شهرته العظيمة يرجع الى هذا الحب وكان اقوى العظماء في ذلك الوقت واوسعهم نفوذاً هومهر — نرسي بن ورزك كبير الوزراء (٦٨) شن بهرام حرباً على برابره الشمال الذين احدقوا بحدود الدولة وشكلوا خطراً كبيراً يتهددها ويسميهم الكتاب العرب والفرس بالترك. فنجح في

---

(٦٦) وقد ذكر اليعقوبي — التاريخ ١ / ١٤١، الطبري — التاريخ ١ / ٨٦٢ قصة خرافية عن كيفية اخذة التاج والزينة من بين الاسدين وانظر كرستنسن — ايران — ص ٢٦٢.

(٦٧) الجاحظ — التاج ص ٢٨ الطبري — التاريخ ١ / ٨٦٣، المسعودي — المروج ٢ / ١٥٧، ١٦٨ وانظر كرستنسن — ايران ص ٢٦٢ — ٢٦٣، باقر — ايران ص ١٣٤.

(٦٨) الطبري — التاريخ ١ / ٨٧٢، كرستنسن — ايران ص ٢٦٤، وكبير الوزراء كان يسمى (بزرك فرمادار) الذي يحمل لقب أو رتبه (هزار بندك) الذي يمتلك الف عبد وهو من الاسرة الاشكانية احدى الاسر السبع الممتازة.

كسر شوكتهم وتوطيد دعائم الامن في تلك الربوع بعدها استخلف اخاه نرسي على خراسان لاستتباب السلم في اقاليم الشرق (٦٩) ويبدو ان العلاقات بين ايران وبيزنطة قد تكدر صفوها في هذه الاثناء وذلك بسبب مالاقاه المسيحيون من اضطهاد في عهد بهرام فهاجرت جماعات كبيرة منهم الى الحدود البيزنطية فاعتمدها بهرام ذريعة لشن الحرب على البيزنطينيين، ولكن الحرب لم تستمر مدة طويلة اذ عقد صلح بين الطرفين تم بموجبه منح الحرية الدينية لمواطني الدولتين اي للمسيحيين في ايران والزرادشتيه في بيزنطة. وكان ذلك لصالح بيزنطة بالدرجة الاولى نظراً لعدم وجود زرادشتية خارج حدود ايران. ومن جانب اخر شهدت الكنيسة المسيحية في ايران تطوراً خطيراً حيث عقد تجمع كنسي لمسيحي ايران بعد الصلح وتوصل المجتمعون فيه لاتخاذ قرار خطير يتمثل في استقلال الكنيسة الايرانية عن الغربية وذلك اصبح مركزهم في ايران اكثر استقراراً. واصبح امر اتهامهم بالميل الى بيزنطة بعد هذا القرار ضعيفاً (٧٠).

وبعد موت شابور اخي بهرام الخامس الذي كان ملكاً على ولاية ارمينية. تملك عليها اردشير بن بهرام شابور مدة عشر سنوات. ثم عزله بهرام وحكمت ارمينية بعد ذلك حكم المقاطعات الايرانية، ثم ولي عليها اميراً من الاشراف الفرس اسمه ويه مهر ــ سابور (٧١).

توفي بهرام الخامس سنة ٤٣٨ أو ٤٣٩ م وكانت وفاته طبيعية في قول الفردوسي ولكن معظم المصادر العربية تجعله يموت ضحية حبه للصيد (٧٢).

ولم يكن يزدجرد الثاني بن بهرام وخليفته متحلياً بصفات ابيه ويشير الطبري الى انه قد صرح مرة الى العظماء والنبلاء الذين جاءوا يقدمون التهنئة اليه بالملك بانهم قد فقدوا عنده ماكانوا يعهدونه من ابيه من اطالة الجلوس للرعية ولكنه يريد ان تكون خلواته في مصلحة المملكة كما الغى يزدجرد السنة القديمة التي كانت

---

(٦٩) كرستنسن ــ ايران ص ٢٦٦، باقر ــ ايران ص ١٣٤.

(٧٠) باقر ــ ايران ص ١٣٤، كرستنسن ــ ايران ص ٢٦٦ وما بعدها.

(٧١) كرستنسن ــ ايران ص ٢٦٨.

(٧٢) الثعالبي ــ التاريخ ص ٥٦٨، كرستنسن ــ ايران ص ٦٨.

تتيح لكل موظف في الدولة الحق في المثول في حضرة الملك في الاسبوع الاول من الشهر ويقدم له بياناً عما ارتكب من مظالم او تعدٍ من جميع الاصناف (٧٣).

وقد حدثت حرب صغيرة مع بيزنطة في اوائل عهد يزدجرد الثاني عام ٤٤٢ وانتهت من غير حوادث خطيرة الى صلح لم يبدل من جوهر الاوضاع السابقة. وكان يزدجرد قد اختلفت سياسته عن سياسة ابيه مع النبلاء والمسيحية، وتشير المصادر المسيحية نفسها الى انه كان عطوفاً على المسيحيين في سنوات حكمه الاولى. ولكن ثمة تغيير مفاجيء طرأ على سياسته ازائهم بعد السنة الثامنة من حكمه، حيث لم يكتفي باضطهادهم بل شمل تشدده واضطهاده اليهود فحرم عليهم السبت (سنة ٤٥٤ ــ ٤٥٥ م) وذاق نصارى ارمينية على يديه الامرين (٧٤).

لقد كان انتشار المسيحية في ارمينية مصدر قلق لحكومة ايران منذ زمن طويل وكان الرأي السائد في المدائن ان السيطرة واستعمار ارمينية يظل منتجاً مابقيت فيها الخلافات الدينية وقد بذل يزدجرد محاولات بائسة لجر أرمينية الى نطاق الدين الزرادشتي، لكن محاولاته تلك منيت بالفشل الذريع الا في استمالة بعض الامراء واصحاب المقاطعات الذين وجدوا مصالحهم مرتبطة بالعرش الايراني، فايدوا دعوة يزدجرد وانضموا تحت لواء الدين الزرادشتي. وكان موقف هذا النفر من امراء ارمينية سبباً في تفرق كلمتهم وضعف وحدتهم بوجه ايران. وفي الوقت الذي كانت ايران تدافع عن حدودها الشرقية ضد الكوشانيين وعن حدودها الشمالية ازاء القبائل الهون (٧٥) اعلنت ارمينية ثورتها على السلطة الايرانية مستفيدة من الظروف الحرجة ولكن يزدجرد نجح في معركة دامية كبيرة من تسجيل نصر كبير على الارمن سنة ٤٥١ م، وعقب ذلك بمذبحة مروعة اوقعها بالاسرى والمسجونين من النصارى، كما امر بقتل من لايتخلى عن مسيحيته في انحاء الامبراطورية (٧٦).

---

(٧٣) الطبري ــ التاريخ ١ / ٨٧١، كرستنسن ــ ايران ص ٢٦٨.

(٧٤) كرستنسن ــ ايران ص ٢٦٨، باقر ــ ايران ص ١٣٥ وكان ذلك بعد ان قتل ابنته التي كان قد تزوجها.

(٧٥) كرستنسن ــ ايران ص ٢٧٠ وما بعدها، باقر ــ ايران ص ١٣٥.

(٧٦) ن. م.

شيد يزدجرد في اقليم جرجان مدينة كانت تسمى شهرستان ــ يزدجرد حيث اقام فيها بضع سنين ليكون قريباً من الحدود المعرضة لغزو البرابره (٧٧).

وكان على يزدجرد في سنوات حكمه الاخيرة ان يحارب الكداريين لكنه مات ميتة طبيعية عام ٤٥٧ (٧٨). وقد توج من بعده ولده هرمزد الثالث وكان قد حكم سجستان مع لقب ملك، ولكن اخاه الاصغر منه فيروز كان متطلع الى التاج فجمع جيشاً في الاقاليم الشرقية وهاجم هرمزد وكان وقتها في الري وبينما كان الاخوان يتقاتلان كانت أمهما تحكم في المدائن، وكان وراء الصراع بين الاخوين رجال الدين الزرادشتيون الذين كانوا يؤيدون فيروز. وهكذا تمكن هذا الملك من اسر اخيه هرمزد وقتله واعتلاء عرش ايران عام ٤٥٩ م في ظرف من اصعب الظروف التي عاشتها ايران (٧٩).

كان عهد فيروز (٤٥٩ هـ ٤٨٤ م) غير موفق، فقد كان الدفاع عن الحدود الشمالية والشرقية يتطلب جهوداً حربية، وقد زاد على متاعب الحرب قحط طويل على اثر الجفاف وقد دام سبع سنوات، وقد حفظت الروايات الوسائل التي اتخذها فيروز لعلاج هذه الشدة، حيث رفع عن الناس جزءاً من الضرائب كما نظم توزيع الغلال (٨٠).

كان العالم المسيحي في ذلك الوقت يشهد صراعاً مريراً وجدلاً في المسائل الاصولية وقد ادى ذلك الانقسام خطره في الكنيسة المسيحية وانعكس اثره على نصارى ايران. ويتمثل ذلك في الخلاف الذي احتد بين النساطره وخصومهم المونوفيزيت (اليعاقبة) حول طبيعة السيد المسيح (٨١).

وقد اراد فيروز في اول عهده اجبار الكداريين على رفع الجزية فرفض ملكهم كداراً واستؤنفت الحرب، وقد دعا فيروز امبراطور بيزنطة الى ان يمده بمال ليدفع له اعانة لكي يقود الحرب ضد الكداريين لكي توؤل الى نهاية طيبة لكي يدفع

---

(٧٧) كرستنسن ــ ايران ص ٢٧٣.

(٧٨) ن. م. والكدارية وهي من قبائل الهون او الكونيت البربرية وتسمى الكدارية تبعاً لأسم ملهكم كدارة وهي تسكن في القسم الشمالي من جرجان.

(٧٩) كرستنسن ــ ايران ص ٢٧٥.

(٨٠) الطبري ــ التاريخ ١ / ٨٧٣، كرستنسن ــ ايران ص ٢٧٦.

(٨١) كرستنسن ــ ايران ص ٢٧٧، باقر ــ ايران ص ١٣٦.

غزوات اقوام برابرة كانوا قد توغلوا في جورجيا واركونية من معابر القوقاز، ولكن هذه الدعوات لم تأت بنتائج فيما يظهر.

مع ذلك فقد استطاع فيروز ان يحقق نجاحاً كبيراً على تلك القبائل البربرية في الشمال فهاجروا واقاموا في قندهار ولكن ايران قد تعرضت لهجوم اقواماً آخرين وهم الهياطلة في الاقسام الشرقية من الامبراطورية وقد جاءوا من المناطق الصينية وغزو اقليم طخارستان التي هجرها الكداريون، وقد خاض فيروز المعركة ضد هذا العدو الجديد فغلب واسر، وقد الزم بالتنازل عن الطالقان، وكانت مدينة الحدود قبل انتصاره على الكداريين، كما تعهد بألّا يجتاز هذه الحدود ثم التزم بأداء الفدية لكي يشتري نفسه وحريته، كما ظل ابنه قباذ في بلاط الهياطلة سنتين رهينة الى أن ادى الفداء (٨٢) وبعد سنتين اعاد فيروز حربه مع الهياطلة فخسرت ايران على اثرها ملكها الذي قتل في الحرب وكثيراً من الاقاليم الشرقية حيث توغل الهياطلة فيها وفرضوا جزية سنوية كبيرة على الفرس (٨٣) وكان اقوى النبلاء في ايران في ذلك الوقت رجل من العظماء يدعى (زرمهر) من اسرة قارن المعروفة والتي كانت من بيوت شيراز — والتي تحكم ولاية سجستان. حيث ذكر الطبري انه قد تلقب بلقب (هزارفت) (٨٤).

وكذلك كانت توجد شخصية اخرى الى جانبها كان يدعى شاهبور الرازي وهو من بيت لايقل عظمة عن سابقه بيت مهران (٨٥) وكان هذا الرجلان يعملان على رأس جيشين عظيمين في جورجيا وارمينية، وانهما حين سمعا بموت فيروز شدا الرحال الى المدائن ليعملا جاهدهما في اختيار الملك الجديد. وقد وقع الاختيار على (بلاش) اخي الملك فيروز. وفي الحقيقة ان زرمهر كان هو الحاكم الفعلي لايران اثناء ولاية هذا الملك. فتدارك الموقف وابرم صلحاً او اتفاقاً مع زعماء ارمينية كانت شروطه مهينة لايران، ولكن بسبب الاوضاع الحرجة التي تمر بها الدولة الساسانية قبلها زرمهر على مضض. وكان يقصد من وراء ذلك التفرغ لرد اعتبار ايران امام خطر

---

(٨٢) كرستنسن — ايران ص ٧٨ — ٢٧٩.

(٨٣) ن. م ص ٢٨٠، باقر — ايران ص ١٣٦.

(٨٤) تاريخ الرسل والملوك ١ / ٨٧٨.

(٨٥) ن. م ١ / ٨٨٥.

الهياطلة المتزايدة فقد كانت الحالة تعيسه جداً. حيث تحولت ايران الى دولة ذليله بتبعيتها لملك الهياطلة حينذاك شن زرمهر حرباً انتقامية ضد الهياطلة وانتهت بصلح لصالح ايران. فقد اجبر الهياطلة على رد كل الغنائم التي استولوا عليها في المعركة الاخيرة بينهم وبين فيروز (٨٦).

كان الملك (بلاش) على مايبدو رجلاً مخلصاً توفرت فيه اطيب النيات لاسعاد رعيته، ويمتدح الكتاب النصارى ميوله الحسنة وروحه المسالمة، ولكنه مع ذلك لم يكن الرجل الذي يجب ان يكون صاحب القدرة في احياء الدولة. فقد اصبح التذمر عاماً بين العظماء، فعزل (بلاش) بعد حكم دام اربع سنوات وسملت عيناه فحل محله قباذ بن فيروز ولاشك ان زرمهر كان المحرك الاول للثورة ضد بلاش. ويبدو ان من وجهه النظر الايرانية كان ذلك مايبرره من الاسباب السياسية فقد عاش قباذ عدة سنوات رهينه في بلاط ملك الهياطلة بعد هزيمة فيروز الاولى على ايديهم. وكان لقباذ بهم صلات طيبة. وقد آملوا ان يكون في اختياره ملكاً تخفيف لضغط ملك الهياطلة والواقع ان العلاقات على مايبدو قد اصبحت بين البلدين اقل عداء بالرغم من ان ايران استمرت تدفع الجزية للهياطلة (٨٧).

اما الكنيسة المسيحية الايرانية فقد زاد ابتعادها عن الكنيسة الغربية على عهدي بلاش وقباذ واستقرت الكنيسة الايرانية على المذهب النسطوري.

كان الوضع في ايران مع استلام قباذ السلطة لايزال قلقاً وضعيفاً، فقد استمرت ايران تدفع الجزية السنوية للهياطلة ورجال الدولة من النبلاء والعظماء لهم اليد الطويلة والمركز القوي في تسيير دفة المملكة. وكان يقف على رأسهم زرمهر الذي نجح في انقاذ ايران في ساعاتها الخطرة فاصبح في مقامه الرفيع يضاهي الملك بل وكأنه قد اصبح الملك الفعلي غير المتوج لايران. لقد عرف عن قباذ طموحه وشخصيته وهذا لا يتفق اساساً مع حركته الادارية والسياسية. لذلك خطا الملك قباذ خطوته الجريئة الاولى بقتل زرمهر. وكأنه اراد من وراء ذلك التخلص منه اولاً وتلقين النبلاء والعظماء درساً قاسياً يضطرهم فيه لاحترام هيبة الدولة وسلطة الملك ويحذرهم من تجاوزها. الا ان مقتل زرمهر بداية حرب عنيفة غير معلنة بين سلطة الملك وسلطة

---

(٨٦) كرستنسن ــ ايران ص ٢٨٠ ــ ٢٨١، باقر ــ ايران ص ١٣٦.

(٨٧) كرستنسن ــ ايران ص ٢٨٢ ــ ٢٨٣، باقر ــ ايران ص ١٣٦ ــ ١٣٧.

الارستقراطية الايرانية المدعمة برجال الدين الزرادشتي. فكان لزاماً على قباذ ان يعتمد جماهير ايران الواسعة. فوجد في الدعوة المزدكيه التي نجحت في استقطاب اوساط شعبية واسعة حولها السند القوي لضرب خصومه وانقاذ العرش والملكية من الوضع المزري الذي آلت اليه ايران (٨٨).

لقد كانت خزينة الدولة تشكو الافلاس في عهد قباذ لذلك طلب الملك امدادات مالية من البيزنطين بسبب اتفاق سابق بينهما يقتضي بحماية الايرانيين للمرات الخزرية فلم يستجب البيزنطيون لطلب قباذ فاضطر الملك الايراني الى اجتياح بلاد مابين النهرين وفتح آمد فحصل منهما على غنائم كثيرة لكنه اضطر لعقد صلح مع البيزنطين ليفرغ لمحاربة القبائل الهون الذين هددوا الحدود الشمالية للدولة الساسانية، ولكنه مات دون حل هذه المشكلة (٨٩).

لقد اخذ قباذ بالابتعاد تدريجياً عن المزدكية (٩٠) ومن أبرز خطواته بهذا الصدد حجب ولاية العهد عن ابنه كاووس المؤيد القوي للمزدكيه وتوليه ابنه كسرى على عرش ايران وهو من الزرادشتين المتحمسين والعدو اللدود للمزدكية.

---

(٨٨) باقر — ايران ص ١٣٧، كرستنسن — ايران ص ٣٢٢.

(٨٩) باقر ايران ص ١٤١، كرستنسن — ايران ص ٢٢٤ وما بعدها.

(٩٠) وسنأتي في الفصول القادمة الى الحديث عن الديانة المزدكية وأرائها وموقف قباذ منها وسبب عزوفه عنها. وصراعه مع الارستقراطية الأيرانية.